

المستوى الثاني:

المحاضرة الثانية في شرح العقيدة الواسطية

افترق المسلمون في باب الأسماء والصّفات وعلى رأس من خالف أهل السنّة والجماعة في هذا الباب طائفتان ضلّتا هما:

-الممثّلة
-المعطّلة

ومنشأ ضلالهما في باب الأسماء والصّفات واحد ألا وهو الاعتقاد **بالتّمثيل** (أي أنّه يلزم من إثبات الصّفات التمثيل لله عزّ وجلّ) على الرّغم من كون كلّ واحدة منهما انتحت منحى معارضا تماما للأخرى

فأمّا الممثّلة فالتزموا اعتقاد التمثيل
وأمّا المعطّلة فلكي يتجنّبوا التمثيل الذي اعتقدوه ابتداء لجؤوا للتعطيل
وينقسم المعطّلة إلى أربعة أقسام:
-الأشاعرة
-المعتزلة
-الجهميّة
-الغلاة من الباطنيّة والمتفلسفة

الأشاعرة: نسبة إلى أبي الحسن الأشعري رحمه الله وقد تشكّل اعتقاده على ثلاثة مراحل فقد نشأ معتزليّا ثمّ اعتنق عقيدة الأشاعرة لينتهي به المطاف للرجوع إلى عقيدة أهل السّنّة والجماعة بعد ما تبيّن له الحقّ وألّف كتابيه الإبانة ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين. غير أنّ الأشاعرة تمسّكوا بالمرحلة الوسطى في اعتقاده.

عقيدة الأشاعرة في باب الأسماء والصّفات:
يثبتون الاسماء كلّها ولا يثبتون في الصّفات سوى سبع صفات استدلّوا عليها بالعقل بزعمهم أمّا ما سواها من الصّفات فإنّهم ينفونها
وهذه السبع هي: العلم، القدرة والإرادة، الحياة، السّمع، البصر، الكلام
اعتمدوا في إثبات هذه الصّفات تقديم العقل على النقل فقالوا بأنّ إيجاد المخلوقات يدلّ على القدرة وما تسير عليه المخلوقات من إتقان عجيب يدلّ على العلم وتنوّع المخلوقات دليل الإرادة فإذا قلنا قدرة وعلم وإرادة فلا بدّ أن تقوم هذه كلّها بحياة والحيّ إمّا أن يكون أصمّ أعمى أبكم وهم ينزّهون الله عن ذلك أو أن يكون يسمع ويبصر ويتكلّم غير أنّهم حتّى في إثباتهم السّمع والبصر والكلام خالفوا في بعضها منهج

أهل السّنّة والجماعة فالكلام بزعمهم نفسيّ وليس بصوت وحرف مستشهدين على ذلك ببيت شعر ينسب لنصراني يدعى الأخطل يقول فيه:
إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنّما ... جعل اللّسان على الفؤاد دليلا
في حين أنّ أهل السنّة والجماعة يعتقدون أنّ الله تبارك وتعالى يتكلّم بصوت وحرف بما شاء وكيفما شاء ومتى شاء.
الله يقول (وناديناه) والنداء بصوت ويقول (ألم)وهذه حروف

قبحا لمن نبذ القرآن وراءه...فإذا استدلّ يقول قال الأخطل

ردّ أهل السنّة والجماعة على الأشاعرة في باب الأسماء والصّفات:
اعتمد أهل السّنّة والجماعة في ردّهم نهجين
الاوّل المنع: وذلك بإبطال استدلال الأشاعرة بالعقل وتقديمه على النقل في باب الأسماء والصفات وردّ الاستدلال إلى النقل (الكتاب والسّنة)
وكما قال الإمام مالك (فليت شعري بأيّ عقل نزن الكتاب والسّنّة) ويقول رحمه الله (أكلّما جاءني رجل أجدل من رجل أخذنا بكلامه وتركنا الكتاب والسّنّة)
فالاعتماد على العقل في هذا الباب واثبات ما نرى ان العقل أثبته ونفي ما نرى أن العقل ينفيه لهو الضلال المبين
والثّاني: التّسليم فلو سلّمنا بأنّ العقل أثبت هذه الصّفات السّبع فمن باب أولى إثبات صفات أخرى دلالة العقل عليها أظهر مثل الرّحمة والحكمة والعلو فكما قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمة الله في التدمريّة (القول في بعض الصفات كالقول في بعض) أمّا التفرقة بإثبات بعض الصّفات ونفي البعض الآخر فتحكّم بهوى ومن غير دليل:

الرحمة مثلا آثارها ظاهرة حتّى لعامّة الناس
فهل ظهور الاستدلال بالعقل على صفة الإرادة بالتخصيص (يعني وجود هذا التّنوّع الأرض والسماء والجنّ ... دالّ على الإرادة) مثل ظهور الاستدلال بالعقل على صفة الرّحمة بالآثار؟ ممّا لا شك فيه أنّ الثانية أظهر
كذلك صفات العلو والكمال والحكمة
نستطيع بالعقل إثبات أكثر من هذه السبع صفات بل إن دلالة العقل على غيرها أظهر
طبعا هم في المناقشة والجدال إذا قيل لهم إثبات صفة الرّحمة بالعقل أظهر قالوا تلك رحمة المخلوق
وكذلك ردّ أهل السنة والجماعة تلك إرادة المخلوق
يحتجون بالقول بأنهم يثبتون إرادة تليق بالله ويردّ أهل السنة والجماعة ونحن أيضا نثبت رحمة تليق بالله
فإن احتجوا بأنّ الرحمة رقة في القلب وضعف وليونة نقول والإرادة ميلان القلب لشيء ما
لا مفرّ لهم إلّا بإثبات كلّ الصّفات الواردة في الكتاب والسّنّة وإلّا فما يحتجون به في الصّفات السبع نحتجّ به في بقية الصفات ولا فرق. لا فرق بين الإرادة والرّحمة مثلا فإن كانوا يثبتون إرادة لله تليق به فإنّنا نثبت رحمة لله تليق به فإذا قيل لا يمكن إثبات ذلك إلّا بتمثيل المخلوق قلنا ولا يمكن إثبات الإرادة إذا إلّا بتمثيل المخلوق فإن قالوا بل ممكن نقول ونحن أيضا يمكن لنا ذلك

بالإضافة إلى أنّ انتفاء الدّليل المعيّن لا يستلزم انتفاء المدلول أي أنّ انتفاء دلالة العقل على بقية الصفات لا يستلزم انتفاءها وعدم إثباتها فقد دلّ عليها النّقل.
لو سلّمنا لكم بأنّ العقل لم يدلّ عليها (هذا انتفاء الدّليل المعيّن) فهذا لا يستلزم انتفاء المدلول أي بقية الصفات
مثال: شخص أراد أن يسافر إلى مكان ما فوجد الطريق المألوف إليه مسدودا أو ممنوعا
فانتفاء ذلك الطريق لا يستلزم انتفاء ما تريد الوصول إليه

فهناك طرق أخرى
لو سلمنا بأن العقل لم يدلّ إلا على هذه الصفات السبع فالنقل (الكتاب والسنة) أثبت بقية الصفات
انتفاء دلالة العقل عليها لا يستلزم انتفاء إثباتها

إذا أمام محاصرة أهل السنّة والجماعة لهم بهذه الحجج لا مفرّ لهم سوى إثبات كلّ الصفات

عقيدة المعتزلة: رأسهم واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس أبي الحسن الأشعري وانبرى ليؤسّس عقيدة المعتزلة والتي تقوم على إثبات الأسماء ونفي الصّفات فرارا من الاضطراب الذي وقع فيه الأشاعرة بإثبات بعض الصّفات ونفي البعض الآخر ولكن هؤلاء أيضا وقعوا في التّخبّط والاضطراب بتفريقهم بين الأسماء والصفات فقالوا أنّ الله عليم بلا علم قدير بلا قدرة سميع بلا سمع علّتهم في نفي الصّفات أنّ تعدّدها يلزم منه تعدّد الذات وبالتالي تعدّد الآلهة ويلزم منه التّجسيم والأجسام متماثلة والله ليس كمثله شيء
فتفريقهم بين الأسماء والصفات تحكّم بغير دليل كما هو تفريق الأشاعرة بين الصفات تحكّم بغير دليل وقد وقعوا جميعا من خلال هذه التفرقة في المحاذير التي زعموا تجنّبها بنفي الصفات وإثبات الأسماء (المعتزلة) أو بنفي بعض الصفات وإثبات البعض الآخر (الأشاعرة).

ردّ أهل السّنّة والجماعة على شبه المعتزلة:

أبطل أهل السّنّة والجماعة شبههم **نقلا** وعقلا:

<u>فأمّا الشبهة الاولى والتي تقول بأنّ تعدّد الصفات يلزم منه تعدّد الذات فالرّدّ كان:</u>
عقلا: تعدّد الصفات لا يلزم منه تعدّد الموصوف
نقلا: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ)
(هُوَاللَّـهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤))

<u>وأمّا الشبهة الثانية: في قولهم أنّ الصفات يلزم منها التجسيم والأجسام متماثلة والله لا يشبهه شيء</u>
وكذلك قالوا في بقية الصفات ففي إثبات الحكمة قالوا يلزم منها غرض وفي إثبات صفات المجيء والضحك والنزول قالوا يلزم منها العرض وفي الوجه واليد يلزم البعض وفي العلو يلزم الحدّ والحيّز ...فكان دأبهم اعتماد الألفاظ الموهمة بغية الوصول إلى نفي الصّفات اللّائقة بالله عزّ وجلّ
وكان ردّ أهل السّنّة والجماعة عليهم **نقلا** و**عقلا** قاعدتهم في ذلك:

بالنسبة للألفاظ التي لم يثبت ورودها في الكتاب والسنّة كالتجسيم والغرض والعرض والحدّ والحيّز والبعض... يتوقفون عند اللفظ لا يثبتونه ولا ينفونه لكيلا يفهم منه ما لا يليق بذات الله ويستفصلون عن معناه فإن كان حقّا قبل وأثبت وردّ إلى اللفظ الشّرعي إن وجد وإن كان باطلا ردّ.

فنقول عن التجسيم مثلا ما المقصود بالتجسيم؟ فإن كان المقصود أننا نثبت لله عز وجل ذاتا تليق بجلاله، نعم، فنحن نثبت لله ذاتا ولا ننكره وان كان المقصود أن لله جسما مثل جسم المخلوق، فلا، هذا المعنى ننفيه عن الله عز وجل.
أما اللفظ فنتوقف فيه، لا نثبته ولا ننفيه، فلو أثبتناه لربما فهم منه ما لا يليق بالله، ولو نفيناه لربّما فهم منه ما لا يليق بالله من انكار، نقبل المعنى الحق ونرد المعنى الباطل أمّا اللفظ فلا نثبته ولا ننفيه.
كذلك القول بأن اثبات علو الله عز وجل يلزم منه أن يكون الله في حد أوفي حيز، نسأل ماذا تقصدون بالحد والحيز، ان كنتم تقصدون السماوات تحيط بالله وأن الله محدود بها، فذلك باطل ومردود، وان كنتم

تقصدون في حد يعني في علو لا أعلى من الله فهذا المعنى حق ونقول به، أما من حيث اللفظ فلا نثبته ولا ننفيه.
وكذلك ما خلصوا إليه بأن الأجسام متماثلة فنستفصل عن المقصود بالأجسام المتماثلة هل من حيث الحجم واللون وما إلى ذلك فنرد بأنّ ذلك غير صحيح والفرق ظاهر في المخلوقات.
وكذلك قالوا بأنّ إثبات الصّفات الفعلية لله عزّ وجلّ كالمجيء والنّزول والاستواء على العرش والضّحك أعراض والأعراض لا تقوم إلّا بأجسام والأجسام متماثلة
القول بأنّ الأعراض لا تقوم إلّا بأجسام فهذا غير صحيح
في وصف الليل بارد أو الحر شديد هذه أعراض وما قامت بأجسام....

العودة لشرح متن العقيدة الواسطية:
الإيمان بأنّ الله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير)
لا ننفي عنه ما وصف به نفسه
ولا نحرّف الكلم عن مواضعه
ولا نلحد في أسماء الله وآياته والإلحاد في أسماء الله وآياته: أي الميل بها عن الحقّ من إنكار أو تعطيل لها بالكليّة أو لمدلولها أو تمثيل لله بخلقه أو تسمية الله بما لم يسمّ به نفسه كتسمية الفلاسفة له بالعلّة الفاعلة وهومن الكفر المخرج عن الملّة لذلك قال تبارك وتعالى في كتابه العزيز (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾
ولا نمثّل صفاته بصفات خلقه لأنّه سبحانه لا سميّ له ولا كفوله ولا ندّ له ولا يقاس بخلقه
فالله سبحانه هو الكامل من كلّ وجه والمخلوق عاجز وهو الواجب الوجود والمخلوق ممكن الوجود
فلا يقاس بخلقه قياس التمثيل ولا قياس الشمول ويصحّ قياس الأولى فإذا كان العلو صفة كمال للمخلوق فالخالق أولى أن يتصف به وهكذا
فإنّه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه
ثمّ رسله صادقون مصدّقون بخلاف الذين يقولون عنه ما لا يعلمون
وبيان الفرق بين الصادق والمصدوق أنّ الصادق في الحديث وأمّا المصدوق ففيما ينقل إليه وكذلك هم الرّسل صادقون مصدوقون بخلاف من يتقوّل على الله بغير علم من المتكلّمين لذلك يقول تبارك وتعالى (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١))
سبح نفسه تبارك وتعالى عمّا وصفه به مخالفو الرّسل وسلّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب
وقد جمع سبحانه وتعالى فيما وصف وسمّى به نفسه بين النفي والإثبات

الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه:
ومنه ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وما وصف به نفسه في أعظم آية من كتابه وهي آية الكرسيّ
سورة الإخلاص: تعدل ثلث القرآن في الجزاء لا في الأجزاء فقراءتها ثلاثا باجر ختمة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء غير أن قراءتها ثلاثا في الصلاة مثلا لا يجزئ عن الفاتحة
في هذه السورة ثلاث صفات مثبتة (الألوهيّة والأحديّة والصّمديّة) وثلاث صفات منفية (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد)
إثبات الألوهيّة أي هو المألوه أي المعبود حقّا
الأحديّة: الواحد لا شريك له
الصمديّة: الكامل في كلّ شيء وقيل الذي تصمد له الخلائق في حوائجها وقيل الذي لا جوف له وكلّ المعاني صحيحة في حقّه عزّ وجلّ
آية الكرسيّ: أعظم آية في كتاب الله
لا إله إلّا الله: أي لا معبود بحقّ إلّا الله وركنا التوحيد نفي وإثبات

فالإثبات وحده (إثبات استحقاق العبادة لله) لا يمنع المشاركة والنفي المجرّد (نفي استحقاق غير الله بالعبادة) عدم فضلا على أن يكون كمالا
القيوم: قائم بنفسه وقائم على غيره
لا تأخذه سنة ولا نوم: نفي السنة والنوم عنه لكمال قيّوميته
له: تقديم ما حقّه التأخير تفيد الحصر
من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه: الله هو الذي يأذن بالشّفاعة لمن يريد أن يشفع ولمن يريد أن تصرف له الشّفاعة
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم: أي مستقبلهم وماضيهم
العلي: علو الذات (على العرش استوى) والصفات، علو القهر والغلبة علو مطلق
ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتّى يصبح.